

برنامج الدراسات المتخصصة

مقرر الفقه والقواعد الفقهية

ت 411

المحاضرة الحادية عشرة

د. كمال المصري

محتوى المحاضرة

فقه الأولويات

التأصيل لـ «فقه الأولويات»

لم يؤصل العلماء المتقدمون "فقه الأولويات" كمصطلح لأنه مصطلح حديث؛ غير أنهم استعملوا مضمونه في مناهجهم الأصولية في الاستدلال والترجيح بين الأدلة والأحكام الشرعية.

«أن يكون مدلول أحدهما الحظر، والآخر الوجوب؛ فما مقتضاه التحريم أولى لوجهين: الأول هو أن الطالب من الحرمة إنما هو دفع مفسدة ملازمة للفعل أو تكميلها، واهتمام الشارع والعقلاء بدفع المفساد أتم من اهتمامهم بتحصيل المصالح....، الوجه الثاني أن إضفاء الحرمة إلى مقصودها أتم من إضفاء الوجوب إلى مقصوده؛ فكانت المحافظة عليه أولى» الإمام الآمدي.

أصل العلماء المعاصرون «فقه الأولويات» بأنه هو العلم بالأحكام الشرعية التي ثبت لها حق التقديم على غيرها وفق الأدلة الشرعية، وبناءً على العلم بمراتبها، وبالواقع الذي يتطلبها فيوضع كل شيء في مرتبته، ولا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير.

استخدم علماء آخرون مصطلح "فقه الموازنات" للدلالة على "فقه الأولويات" معتبرين أنه مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط عملية الموازنة بين المصالح المتعارضة أو المفسدات المتعارضة مع المصالح ليتبين بذلك أي المصلحتين أرجح فتقدم على غيرها، وأي المفسدتين أعظم خطراً فيقدم درؤها، كما يعرف بها الغلبة لأي من المصلحة أو المفسدة - عند تعارضهما - ليحكم بناء على تلك الغلبة بصلاح ذلك الأمر أو فساده؛ فيفاضل بين المصالح والمفسدات المتعارضة المتراحمة بتقديم أو تأخير الأولى بالتقديم أو التأخير.

دليل مشروعية «فقه الأولويات»

* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ
عِنْدَ اللَّهِ ^{قُلْ} وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ التوبة / 19

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا
بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ الأنعام / 108

دليل مشروعية «فقه الأولويات»

ما ورد في حادثة صلح الحديبية عند كتابة المعاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو؛ إذ جاء فيها: قال سهيل بن عمرو: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا؛ فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم)، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب؛ فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال النبي ﷺ: (اكتب باسمك اللهم) ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله؛ فقال النبي ﷺ: (والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله). البخاري ومسلم

عن جابر بن عبد الله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لأنصار! وقال المهاجري يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: (ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة)، وقال عبد الله بن أبي بن سلول: وقد فعلوها! والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق.. فقال النبي ﷺ: (دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه). البخاري ومسلم

الأسس التي ينبني عليها «فقه الأولويات»

الاعتماد على المصادر الشرعية في الاستدلال والتلقي

مراعاة مصادر الشريعة

النظر إلى مآلات الأمور

الإلمام بالواقع

مراعاة حال الأفراد وقدراتهم

تقديم الائتلاف على الاختلاف

مقتضى «فقه الأولويات»

- تقديم الضروريات على الحاجيات، ومن باب أولى على التحسينيات والتكميليات، وتقديم الحاجيات على التحسينيات والتكميليات، وتقديم التحسينيات على التكميليات.

- الموازنة بين المصالح؛ فتُقدّم المصلحة المتيقّنة على المصلحة المظنونة أو الموهومة، وتُقدّم المصلحة الكبيرة على المصلحة الصغيرة، وتُقدّم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وتُقدّم مصلحة الكثرة على مصلحة القلّة، وتُقدّم المصلحة الدائمة على المصلحة العارضة أو المنقطعة، وتُقدّم المصلحة الجوهرية والأساسية على المصلحة الشكلية والهامشية، وتُقدّم المصلحة المستقبلية القوية على المصلحة الآنية الضعيفة، وهكذا.

إن فقه الأولويات هو وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، ثم تقديم الأولى فالأولى بناءً على معايير شرعية، ووفق أسس صحيحة، ومقتضيات حكمة.

